

المسلم بين اهتمامه بالظاهر واهتمامه بالباطن

(خطبة الجمعة للشيخ عبد الحق شطاب بمسجد الشيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 29 جمادى الثانية 1434هـ الموافق لـ 10 ماي 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن
يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً،

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وِنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -،

وشرُّ الأمور محدثاتها وكلُّ محدثة بدعةٌ وكلَّ بدعةٌ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزيغ والضللال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

المسلم بين اهتمامه بالظاهر واهتمامه بالباطن

معاشر الإخوة الكرام،

جميل الإهتمام بالمظاهر، لكن أجهل من ذلك أن يجتمع عند المسلم الإهتمام بالمظاهر والبواطن، والله جلّ جلاله يدعونا في القرآن الكريم إلى الإهتمام بلباب الأمور، قال سبحانه:

" . . . فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

﴿ 17 ﴾ " سورة الرعد.

لكننا نجد كثيراً من الناس اهتمامه بهندامه يبلغ مداه، من حيث النظافة والأناقة والجودة، وهذا من الدين، حيث قال تعالى:

" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

﴿ 31 ﴾ " سورة الأعراف.

ولذلك لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً شعناً أنكر عليه، فقد ثبت في تخريج مشكاة المصابيح بإسناد صحيح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: { أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً، فرأى رجلاً شعناً قد تفرق شعره، فقال: (أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟!)، ورأى رجلاً عليه ثيابٌ وسخةٌ، فقال: (أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه؟!) .

من أجل كل ذلك أمرنا بالطهارة الكبرى والصغرى، قال تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا . . . ﴿ 6 ﴾ " سورة المائدة.

فكل هذا الإهتمام بالظاهر من الدين، ولكن لم يكن للدين أن يهتم بالمظهر ويغفل عن اللب، وينشغل بالحسي دون المعنوي، ويولي اهتماماً بالجسد ويغفل الروح، وما أسجد الله تعالى ملائكته للإنسان إلا حينما نفخ فيه من روحه.

" فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿29﴾ " سورة الحجر.

وهو سجود وتحيّة لآدم وخضوعٌ وتعظيمٌ للرحمن.

وقال سبحانه داعياً للإهتمام بالباطن، ومرتباً الفلاح على تزكية الباطن.

" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿9﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿10﴾ " سورة الشمس.

فالرجال الكبار ما كان لهم ليهتمّوا بالأجساد ويغفلوا عن الأرواح، والرجال الذين دوّخوا العالم لم تكن لهم أجساداً ضخمةً ممشوقةً، وإنما كانت لهم نفوسٌ كبيرةً، وأرواحٌ جليئةً وأخلاقٌ عاليةً.

عندما توجه خالد بن الوليد رضي الله عنه لفتح فارس، أرسل إلى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطلب المدد، فما كان من أبي بكر إلا أن أرسل له فارساً واحداً، فتعجّب الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا: (يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، خالد يطلب المدد فترسل له رجلاً واحداً؟!)، فقال لهم رضي الله عنه: (إن جيشاً فيه القعقاع بن عمرو لا يهزم)، وكان كذلك.

إياك، وإياك أن يشغلك مظهرك عن لُبِّك وباطنك، من أجل ذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم ساق ابن مسعود رضي الله عنه، رغم دقّتها ونحافتها، لأنّ الروح التي تحملها كبيرةً، والنفس التي بين جنبها عظيمةً.

ثبت في السلسلة الصحيحة للألباني، ورواه أحمد في مسنده بإسنادٍ صحيحٍ كما قال أحمد شاكر، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضي الله عنه، فصعد على شجرة، أمره أن يأتيه منها بشيءٍ، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من هموشة ساقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مِمّ تضحكون؟، لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحدٍ).

وقد اجتمع نفرٌ من الصحابة عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالوا له: (يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً كان أحسن خُلُقاً ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسةً ولا أشدّ ورعاً من عبد الله بن مسعود).

إخوتي الكرام،

إنّ في كتاب الله تعالى بياناً للإهتمام بالباطن والظاهر، وأنّ الإهتمام بالباطن أولى، قال تعالى:

" يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿26﴾ " سورة الأعراف.

لباسٌ يستركم وتزيتون به، ولباس التقوى أي لباس خشية الله تعالى، وشبهه باللباس فيه تشبيهة بملازمة تقوى الله، كملازمة اللباس لباسه.

(ولباس التقوى ذلك خير) فإنها خيرٌ للباس من منافع الزينة.

ماذا تنفع الأناقة، إذا كان صاحبها كذاباً أو سارقاً؟، ماذا ينفع الجسد القوي، إذا كان صاحبه ظالماً معتدياً؟، وماذا تنفع صورة امرأة حسناء، إذا كانت خائنة فاجرة غير عفيفة ولا طاهرة؟، وماذا تنفع شهادة دكتوراه لرجل، وهو يحمل فكراً ماركسياً أو ليبرالياً؟.

إنّ الذي يزكي نفسه ينفع نفسه ومجتمعه لا محالة، ولقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً، مُتَوَهَّماً بأنّ الرجال العظام بمدى ما يرجعون به من النفع الماديّ والتربويّ، الأخلاقيّ، الإصلاحيّ على أمتهم، وليس بصورهم وأنافتهم المفلتة، وعضلاتهم المفتولة.

" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿76﴾ " سورة التحل.

وهذا هو الفارق بين المؤمن العامل والمؤمن الخامل، المؤمن الفاعل والمؤمن المنفعل، المؤمن الإيجابي النافع والمؤمن السلبي، موقف المؤمن المقدم المصلح الناصح، وموقف المتردد الخوار لا يدري ما هو فاعل.

والسبب في هذا التباين في حال الرجلين، أحدهما اهتم بتزكية نفسه فأعطته ثماراً صلاحاً وإصلاحاً، والآخر غفل عن تزكية نفسه فما انتفع وما نفع.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

ما هو السبيل لتزكية النفس؟، بالعلم والذكر نصلي لتزكية النفوس.

قال تعالى:

" . . . إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿28﴾ " سورة فاطر.

قال ابن كثير رحمه الله: (إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر).

قال السعدي رحمه الله: (فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشيةً).

فمن طلب تزكية نفسه وخشيته لربه بالجهل فقد أخطأ السبيل، ومن يطلب تزكيته نفسه وهو عازفٌ من العلم بالكتاب والسنة فهو طالبٌ لمستحيل.

وقد ثبت في تخريج مشكاة المصابيح لابن حجر بسندٍ حسنٍ، عن أبي الدرداء قال: { قال صلى الله عليه وسلم:

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة) . }

وفي صحيح الترمذي للألباني بسندٍ حسنٍ لغيره:

(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة).

و السبيل الثاني لتزكية النفس، تلاوة كتاب الله تعالى، روى الترمذي بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: { قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن، كالبيت الحَرَبِ) . }

والبيت الحَرَب هو البيت الذي لا يمكن الإنتفاع به، ومثل هذا لا ينفع نفسه فأنتى له أن ينفع غيره.

فالذي لا يأخذ نفسه بالعلم والذكر، فطريق تزكية نفسه وتطهيرها بعيدةٌ بُعدَ السماء عن الأرض، فإذا عرفنا فلنلزم.

وصلاح هذه الأمة لا يكون إلا بتغيير بعض تقاليدھا، فالأمة الّتي يجتمع 80 ألفاً منها على مباراة كرة قدم، ولا يجتمع ألفٌ أو قُلْ بضع مئاتٍ على حلقة علم، لا يتغيّر حالها ولا سلوك أبنائها.

اللّهمّ أهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وقنا شرّ ما قضيت،
اللّهمّ لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا ديناً إلا قضيت، ولا مريضاً إلا شفيت، ولا حاجة من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاحاً إلا قضيتها لنا ويسرّتها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهمّ إنا نسألك في فعل الخيّرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بقرمٍ فتنة فتوفنا غير فاتنين ولا مفتونين،
اللّهمّ إنا نسألك حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عملٍ يقربنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غرة، ولا على حين غفلة،
اللّهمّ إنك عفوٌ تحبّ العفو فاعف عنا، اللّهمّ إنك عفوٌ تحبّ العفو فاعف عنا،
اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واحذل ودمر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهمّ انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهمّ انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنك على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.